فلماذا يقرضونهُ المال واذا لم يكن للمال الموفَّر عندهم ثمرة فلماذا يوفرونهُ ويحرمون انفسهم التمتع بهِ. واذا لم يجد زيدٌ من يقرضهُ مالاً يستطيع انجاز مشروعهِ بهِ افلا تخسر الامة فوائد المشروع

اذا تدبَّر القارئ هذا الموضوع جيداً اتضح لهُ ان المرابأة في دائرة الاشغال والاعمال ليست الاَّ مرابحة محللة كسائر التجارات وبان لهُ خطاء الذين يقولون ان تثمير الاموال في البنوك وفي صندوق التوفير التابع لمصلحة البريد وفي الاسهم والشركات المالية المختلفة ربا محرَّم. والحقيقة ان الربا المحرم هو الربا المأخوذ من الفقير بانتهاز فرصة ضيقهِ وفاقتهِ ليس الاَّ. ولا مشاحة في ان الشرائع لم تحرِّم الاَّ هذا النوع من الربا والاَّ لحرَّمت تثمير الاموال باي الطرق بلا استثناء

نقولا حداد

الكاهن والملك في مشهد التاريخ

عنيت منذ الحداثة بالتاريخ والجغرافية وتروّيض النفس في ابحاثهما. وقد شاقني التنقُّل على اجنحة الخيال في قرون التاريخ المتوالية واذا بهِ مشهد تمثيل يشغلهُ سرمدًا الكاهن والملك نائبا الدين والسياسة ومثلاهما . وفي هاتين الدائرتين تنحصر الحوادث والوقائع التاريخية . واولى المسائل التي خطرت في بالي هي أطبيعيٌّ وجودهما ام وضعيٌّ. فاستعنتُ على حلها بالتاريخ لانها مسألة تاريخيَّة . وارسلت النظر في تاريخ اوربا منذ نشأتها واذا بالملك والكاهن يشغلان مشهدهُ . ثمَّ لويت عنان البحث الى تاريخ اسيا مهد التمدُّن ومسقط رأس العمران واوغلت في شعابهِ الهنديَّة والفارسيَّة والكلدانيَّة والاشوريَّة والمصريَّة متقصيًا البحث فيها واذا بالكاهن والملك محور الحوادث ومدار التاريخ. فايقنت ان الديانة والسياسة طبيعيتان في النوع . والامر واضح انهما يجريان مع الامم في ارتقائها وانحطاطها فقد بلغ بعضها شأوًا رفيعًا في المدنيَّة والآداب كاليونان والرومان والكاهن والملك يجريان معهما في ميدان التاريخ وانحط بعضها الى ادنى دركات التوحش والهمجيَّة كزنوج افريقية وهنود اميركا وفي هذا المحيط نرى الكاهن والملك حافظين نسبتهما الى الهيئة الاجتماعية . فوضح لي انهُ توجد نسبة ثابتة بينهما وبين نوع الانسان فيرقيان معهُ وينحطان معهُ فهما منهُ ولهُ وبهِ . ولا ريب في كثرة تنوعاتهما وتكيفاتهما شأن الممثلين الذين يغيرون ملابسهم ويتنوعون اصواتهم وفقًا لما يمثلونهُ فتارة يظهر الملك بمظهر الاستبداد والعنف لارهاب الجمهور . وطورًا يظهر في صورة اللطف والرقَّة لسرورهم وهنائهم . وطورًا يتسنَّم الكاهن عرش العظمة والربوبيَّة مقيدًا الناس في قيامهم

وقعودهم وحلهم وترحالهم وحياتهم وموتهم . والآخر يتصاغر كاحقر خدام الانسانية . ولا نهاية لتلوناتهما فكأنهما خلقا ليلائما الجنس البشري في جميع رحلاته في كل الاماكن والعصور . على ان حقيقتهما واحدة امسا واليوم والى نهاية العالم

والظاهر انهما ايديان في مشهد التاريخ . فاذا بلدتهما الامم اليوم عادت اليهما غداً لا لقدسيتهما ولا لنقص في الهيئة الاجتماعية بل لارتباط مصالح الافراد والجمهور بهما في الحياة الدنيا والاخرى . فالعمران وهو ثمرة الطبع البشري ينتقر الى الوازع القانوني لردع القوي عن الضعيف ولقيادة رأي الامة العمومي او تنشيطها في مشروعاتها الادبية وحفظ كيانها . فلا غنى عن الحكومة ملكية كانت او جمهورية مطلقة ام مقيدة باختيار الشعب ام بنعمة الله . وقد صوّر توماً كارليل في كتاب " الثورة الفرنسية " نشأة الملك هكذا قال " لما كان افراد النوع الانساني غاية في الهمجية وشرعوا ينازعون بعضهم بعضاً اسباب العيش آل الامر الى تألبهم جماعات اصطلت بينها نيران الحروب هجوماً ودفاعاً . فلدى تقدم الجماعة الى الميدان اوحين رجوعها منه ظافرة رفعت عينيها الى الممتاز فيها بالبأس والبراعة ودعته للملك عليها . ثم شادت له في وسطها عرشاً رفيعاً وناطت به امورها فاصبح محور اعمالها ونقطة آمالها وكعبة قصادها ونقطة دائرتها . تؤيد ذلك كلمة ملك في الانكليزية فان معناها الاصلي الرجل المقتدر " . انتهى كلام كارليل وهو من المبرزين في التأليف والفلسفة المعروفي المقام في امة الانكليز

ولا يبعد رأي كارليل عن الصواب فان الانتخاب كان صفة الملك الاصلية ثم صار وراثياً . ففي دولة الاسلام كانت الخلافة اولاً برأي الامة والامر بينهم شورى واول من اوصى بها لابنه معاوية بعد ما توالى على عرشها خمسة منهم . وكذلك كانت دولة العبرانيين في ايام القضاة ولم تنشأ السلالة الملكية الى ايام داود النبي بعد تنظيم الامة بخمس مئة سنة وقس على ذلك اليونان والرومان في بداية نشأتهم . والملك الانتخابي اقرب الى الحق والطبع من الوراثي . ولكن الوراثي اميل للتغلب في التاريخ

والدين كالسياسة بالنسبة الى طبيعة الانسان الروحية . وقد بيّن العلامة كيزو في خطبه " تاريخ التمدن الاوربي " التي تلاها امام المجمع الفرنسوي سنة ١٨٢٨ نشأة الدين قال " ان في الطبيعة البشرية وفي معاد البشر مسائل حلها غريب عن هذا العالم ومتعلق بامور غريبة عن العالم المحسوس تقلق نفس الانسان وتعذبها عذاباً شديداً . . . وان تمييز الخير من الشر ووجوب فعل الخير وترك الشر قواعد يجدها الانسان في نفس طبيعته كما يجد قواعد المنطق

ومبادئها مؤسسة فيه كما انهُ من دأبه السلوك بها مدة حياته الحاضرة . فالمسائل العديدة التي في طبيعتنا من جهة وضرورة البحث عن اصل الاخلاق الادبية من جهة اخرى هما يتابع الديانة بالتأكيد " . وفي ذلك اذا اعتبرناهُ ما يثبت فطرية الدين في الانسان ولذلك اعتبر حيوانًا دينيًّا . فتركهُ الدين خروج عن منهج الطبع ومنافاة للعهود منهُ في كل اجياله

والخلاصة ان الداعي للسلطة السياسية ميل الانسان الفطري الى الاجتماع . وموجب التدين طبيعتهُ الروحية . ولما كانت الطبيعة الروحية القائمة على الخصوص بالعواطف القلبية جزءًا حقيقيًّا من الاقنوم الانساني الذي من شأنه الميل الى النظام في كل اعماله نشأت السلطة الروحية المرافقة الانسانية في مراحلها التاريخية كالسلطة الزمنية . ولما كان موضوع الاثنتين الانسان كثرت نقط التماس والتقاطع في خطوطهما . وعن ذلك نشأت الفصول الآتية التي يمثلها الكاهن نائب الدين والملك نائب السياسة . وقد رأيت جميع اعمالها التمثيلية محصورة في اربعة فصول

الاول في سيادة الكاهن على الملك
الثاني في سيادة الملك على الكاهن
الثالث في اتحاد الملك والكاهن
الرابع في انفصالها كلٌّ عن الاخر

في سيادة الكاهن على الملك

لدى رفع الستار عن المشهد التاريخي ظهر الكاهن متشحًا بالعظمة والجلال جالسًا في اعلى ذرى الفخامة والمجد وبجانبه اخوهُ الصغير — الملك — يرمقهُ بعين المهابة والتوقير ولسان حاله يقول " هل لي ان ابلغ منزلة اخي في المستقبل " وكيفية وجودهما كانت كما يأتي : ان اقدم التواريخ المكتتبة عن اصل الجنس البشري يثبتنا انهُ كان في الاصل مؤلفًا من عائلة واحدة اعضاؤها ثمانية والدان وثلاثة اخوة ونساؤهم . وكان الوالد — نوح — كاهن العائلة وملكها فكان الملك والكهنوت مجتمعين في شخص واحد . وقبل موته قلَّد كلاًّ من اولاده وظيفة خاصة . فقلد ساماً الكهنوت لانهُ الاكبر . ويافث الملك . وحاماً بالخضوع لهما . وقد تضمنت ذلك نبوتهُ الشهيرة وهي

" مبارك الرب اله سام " اشارة الى انهُ كاهن
" ليفتح الرب ليافث فيسكن في مساكن سام " " " " ملك
" وليكن كنعان عبدًا لهم " " " " خاضع لهما
تكوين ٩ : ٢٦

فهنا سام وحام ويافث نواب الجنس البشري . فقد انقسم الجنس الى ثلاث فئات خدمة الدين . والحكام . والرعية . وكانت ذرية سام منشأ الاديان كاليهودية والاسلامية والمسيحية والبوذية وذرية يافث منبت الدول الحاكمة الآن . ومع انها سُبقت ببعض الدول من سلالة سام كالكلدان والاشوريين ومن سلالة حام كالمصريين فقد فتح الله ليافث فغلبها جميعاً طبقاً لنبوة نوح . ومن ذرية يافث سكان اوربا واميركا والفرس والتتر وفيهم القوة الحاكمة

ثم ان سيادة الدين على السياسة في العالم القديم امر تؤيده كل التقاليد والآثار البشرية. ومن الدلائل على ذلك اننا لا نرى تقليد امة خالياً من الحاق اصلها بالآلهة فيستفاد من ذلك قدمية الفكر الديني وقدمية السيادة الدينية في المجتمع الانساني . ومنها سطوة رهط الدين في بدء التاريخ على الدوائر السياسية فقد كان مجمع مفكيتون يدير دفة السياسة اليونانية. ومنها تدين اقدم الملوك المعروفين وادعاؤهم بالمناجاة الروحية قبل الحرب وبعدها ونسبتهم فوزهم الى العناية الالهية كما هو واضح في آثار الاشوريين والعبرانيين . ومنها استئثار الكهنة في اقدم الدول بما فرض على الرعية . فاننا نقرأ في التوراة انه لما اجتاحت ارض مصر وعضت الناس انياب المجاعة اتوا الى يوسف وباعوه اراضيهم لاجل الخبز الا الكهنة فكانت اعانتهم مما فرض على الملك وبقيت اراضيهم لهم . قال الاستاذ بورتر في تاريخه النهج القويم " ان الطبقة الاولى بين المصريين هي الكهنة الذين كانت صولتهم على الناس عظيمة جداً . وكانت لهم امتيازات كثيرة . وكان الملك احياناً يجعل نفسه منهم وعيَّن لهم ثلث ارض مصر فملكوه بلا إتاوة ولهم من الخزانة الملكية رواتب فوق ذلك " . وجاء في التوراة ان يوسف لما ارقى الى ذرى المجد وجلس بجانب فرعون كان من مظاهر اكرامه تزويجه باسنات بنت فوطي فارع كاهن اون . وجاء في النهج القويم ان كهنة مصر اخبروا هيرودوتس ان دولة من الالهة ملكت مصر قروناً كثيرة قبل ايام مينيس

ولا يخفى على كل من قرأ التاريخ اليوناني ما كان لعبد دلفي من السلطة على افكار اليونان . فلم يكونوا يعتقدون او يحاولون الا بحسب ايعازه ولم يجرأوا على تكذيب نبواته المبهمة بل كانوا يؤولونها بحسب الاحوال حرصاً على شرف الآلهة . كل ذلك من الامارات التي ترجح سيادة الدين قديماً . وهكذا كان الحال في بدء الدولة الرومانية والعبرانية والاسلامية وغيرها من الامم العظام . وكل من قرأ التاريخ يرى ان سيادة الدين هي الصفة الاصلية للمجتمع الانساني . وذلك من مؤيدات القول بغريزية الدين في الطبع البشري . ولما كان

الملك ينتخب انتخاباً في الغالب كان ينصّب باحتفال ديني ويلتمس من عالم الالهة اطالة ايامه ونجاح ملكه فكان خضوعه للكاهن تمّا لا بدّ منهُ

في سيادة الملك على الكاهن

حدثت في هذا الفصل معارك هائلة بين الكاهن والملك انتهت بسيادة الملك على الكاهن. رأيناها في الفصل الاول اخوين ودودين اتفقا على خدمة الانسانية ورأيناها في الفصل الثاني عدوين لدودين يعملان على دمارها. فقد خلف اتحادهما الشقاق وسلامهما الخصام. وشرح ذلك كان على ما يأتي: توفي سام ويافث وتوارثت انسال كلٍّ منهما ما كان لهُ من الخصائص والمزايا. وورث بنو حام الخضوع لما وامثال اوامرهما في الارضيات والسمويات. على ان الجنس البشري لا يميل الى السكون وحقًّا انهُ لا سكون في عالم الميولي وذلك ثابت من الطبيعيات. فالزوابع والاعاصير انما هي مظاهر شديدة لحركة الدقائق المادية المستمرّة. والثورات والحروب والانقلابات السياسية والاجتماعية اعراض الحركة البشرية في مشهد الدين والسياسة

قد اتصف سام — الكاهن — في البداية بالطهر والعفاف اللائقين بمنزلتهِ السامية. على ان الفساد ظهر سريعاً في نسلهِ فشرعوا يحيدون عن سواء السبيل واتخذوا منزلتهم وسيلة لاحراز مشتهياتهم. فاضحت دائرة الدين عش الدعارة ووكر الباطل بعد ان كانت منبت الصلاح ومنبعث الهدى وقد ربا فسادهم حتى اتصل بعالم الآلهة. فنسب اليونان الى المتهم الادواء الادبية المنفية في البشر كالغش والحسد والسرقة. وامست عباداتهم ومياكلهم مغرس الغي في هيكل الاهة الحب في انسس كانت ثلاثة آلاف من العذارى حابسات انفسهنّ لارتكاب المنكر ارضاء لتلك الالاهة

ومع ان الشعب اطّلع على مخابئ الكهنة وفظائعهم لم يتجرأ على التنديد بها حفظاً لكرامتهم ورهبةً من غضبهم. ويندر ان يتجاسر العبد على انكار ما يأتيهِ سيدهُ ولو كان من شر المنكرات فظل الرئيس الديني مكرمًا لدى العامّة ولو خلا من الفضائل الشخصية. ومن المعلوم ان اشتغال الرعية بواجباتها اليومية وافتقارها الى الكهنة في امور كثيرة وتباينها ذكاء وارتقاء وتسرّجمع كلمتها الى غير ذلك من الاسباب تضطرها الى السكوت عن نقائص رؤسائها الروحيين وتثبط عزائمها عن تفنيدها

على ان رقيب الكاهن الجريء هو الملك وقد بلغ رشدهُ في الطور الثاني من اطوار العمران وعلم قدر نفسهِ ونسبتهُ الى الهيئة الاجتماعية. ورسخت في ساحة الملك قدمهُ واعتزّت

نفسهُ بما الفهُ من خضوع الناس لهُ وعملهم باوامرهِ . فاصبح طوداً راسخاً لا تزعزعهُ رياح الاوهام والتخرُّصات . وقد سمت مداركهُ واتسع نطاق افكارهِ لاشتغالهِ بالمصالح العامَّة وفهم ان اخاهُ الكاهن الرفيع الشان ليس الاَّ احد افراد وعيتهِ المؤتمرين بامرهِ . فلما رأى منهُ من ضروب المنكرات ما لا يحسن السكوت عليهِ حقَّرهُ باطناً ثمَّ كاشفهُ بما يكنُّهُ من نحوهِ وانذرهُ بسوء المصير اذا لم يعتبر الشرائع المدنية . فدخل الكاهن من تلك الجارة التي لم يعهدها في اخيهِ الصغير . فاقام عليهِ الحجَّة بقحة خارقة ادهشت الجمهور . فلم يعبأ هذا به بل عوَّل على التضييق عليهِ فزاد الكاهن هياجاً واستصرخ العوام واستنجد العجائز متشبثاً بالتقاليد القديمة ولما يئس من كل الوسائل لجأ الى الحرم واللعنات وانذر الملك بالويل والثبور وعظائم الامور ولم يلقَ سلاحهُ حتى ادهش اهل الارض والسماء بما اثارهُ من نقيع المعارك الدمويَّة التي يشيب لها الولدان . فوضح للجمهور انهُ لا اربَ من رؤساء الدين اذا فسدوا . ومن هنا نشأ الكفر وصار يهدِّد دولة الدين بالانقلاب

ان التنازع بين الدين والسياسة يشغل الدائرة الوسعى في مشهد التاريخ العام وهو من اقدم حوادث العمران وما زالت نيرانهُ تستعر الى هذه الساعة . وقد كان علَّة ما لا يحصى من نكبات الانسانية وارزائها . وكأني بوقائعها ملازمة الجنس البشري في رحلاتهِ منذ ابتداء العالم الى الآن . جاء في تاريخ هيرودوتس "ان مينيس اول ملوك الدولة الاولى المصرية ادخل في البلاد عوائد جديدة وابطل العوائد القديمة فعظم ذلك على المصريين فلعنهُ بعض من خلفوهُ كأنهُ جلب غضب الالهة على المملكة" . قال الاستاذ بورتر معقباً على ذلك . "ولعل العلة الصحيحة انهُ رقَّى شأن نفسهِ وحطَّ شأن الكهنة شيئاً"

وتاريخ العصور المظلمة مشحون بصور النضال الطويل بين رؤساء الدين والحكَّام الزمنيين واذا بحثنا فيهِ رأيناهُ محصوراً في كبرياء الاولين وعنفوان الآخرين وتعارض اطماع الفريقين وجوهرهُ العام حبُّ الرئاسة . فاصطلت بين الفريقين نيران الحروب التي اودت بسعادة الجمهور وألصقت بالتاريخ البشري عاراً لا يمحى واجرت في اقطار اوربا انهاراً من الدماء الزكية . فاصبح التاريخ من موت شارلمان الى ختام الفتن الدينية في المانيا مشهداً تتقطَّر لهُ الاكباد . وكان الجمهور العوبة تتداولها ايدي الفريقين فاذا قام الملك على الكاهن فعدَّتهُ الجمهور واذا ثار هذا على الكاهن تسلَّح بالجمهور فقد وقف الجمهور نفسهُ للانسياق برياح الاهواء بينهما

اما نتائج تلك الملاحم فكانت في البداية جارية على الناموس الطبيعي العام — الفوز حليف القوَّة — فحين تكون القوَّة في جانب الكاهن يغلب الملك والضد بالضد . على انَّ من تدبُّر

التاريخ بعين تقّادة رآهُ جاريًا نحو نقطة معينة . فاذا حال دون وصوله اليها حائل يدور حولهُ ويتجه نحو تلك النقطة كأنهُ مقودٌ بيدٍ عاقلة

ويمكننا اتخاذ وقائع البابويّة مع ملوك اوربا مثالاً لذلك (لان للبابويّة اكمل مثال للنظام الديني القانوني) ولاسيما لما رقي غريغوريوس السابع عرش الحبريّة فانهُ قصد اخضاع ملوك اوربا قائلاً ان الله رمز بالنورين العظيمين المذكورين في بدء الخليقة الى صاحبي المشهد التاريخي الكاهن والملك فاوجب حفظ النسبة بينهما بحيث يكون الكاهن شمس الهيئة الاجتماعية ومصدر سلطة الملك كما ان الشمس مصدر نور القمر وحرارته. فنرض على الملوك فروضًا غريبة ولما هنري الرابع ملك المانيا لمقاومته وجد نفسهُ "كناطح صخرة يومًا ليوهنها" . فحرمهُ البابا وافتى بخلعه فخرجت عليه الرعيّة واضطر ان يقصد البابا صاغرًا ليسترحمهُ فوقف على بابه في قلعة كنوسا حافيًا مكشوف الراس ثلاثة ايام بلياليها في ابرد ايام الشتاء . وما زالت البابويّة تتعاظم حتى بلغت اسمى ذراها في انوشنسيوس الثالث في ختام القرن الثاني عشر. فعزل ملك انكلترا سنة ١٢٠٨ وحرم ملك فرنسا سنة ١٢٠٩ وعزل امبراطور المانيا سنة ١٢١٥

ولكن اذا تمّ امرٌ بدا نقصهُ توقّع زوالاً اذا قيل تمّ

واول ظواهر الضعف اهانة فيليب الرابع بونيفاشيوس الثامن ونقل الكرسي البابوي الى افنيون وهو المسمى عندهم بالسبي البابلي لانهُ استمر سبعين سنة كسبي اليهود الى بابل . ومن ثمّ توالت النكبات على البابويّة فتلت سلطتها الزمنية في هبوط حتى هجم غاريبلدي على رومية في ٢٠ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٧٠ وخلع البابا من الحكم الزمني . ومن الممكن اعتبار سقوط رومية خاتمة قانونية للنازعات بين الكاهن والملك على السلطة الزمنية مدة تنيف عن خمسة الاف سنة

ان عواقب المنازعات المشار اليها وخيمة على الهيئة الاجتماعيّة في كل زمان ومكان كما يتضح من كل التواريخ . فان خصومة اهالي كرّا ومدينة دلفي — مقرّ الوحي اليوناني — اضرمت نيران "الحروب المقدسة" الاولى والثانية وبها تقطعت اوصال الامة اليونانية بامرها وأُعدّت للسقوط امام فيليب المكدوني سقوطًا ابديًا فقوّضت دعائم مجدها . هذا مثال من التاريخ القديم اما في الحديث فقد كان تعرض رجال الدين لمصالح الممالك الالمانية منذ انقسام مملكة شارلمان سببًا لتأخيرها عن اخواتها من ممالك الغرب اجيالاً طوالاً . ولما تخلصت منهُ ابرزت من آيات القوة والنشاط ما ادهش اوربا والعالم بامره . ولا يخفى على متتبع التاريخ ما نشأ عن معارضة الكهنة سير المدنية من النوازل الفادحات . هذه العالم مع بطرس الاكبر المصلح الشهير وهو اجل مثال للملكية الناهضة فانهم لم يكفوا عن مقاومته حتى

آل الامر الى اعدام ولي عهد الكسيس الذي والاهم ضد بيتر العظيم. وهكذا فتن الاترومونتان في المانيا ضد الوحدة الالمانية التي اقلقت راحة الحكومة. ولو لم تكن يد بسمارك قابضة على زمام الامور لنجح الخصوم وقوضوا دعائم اعظم الامبراطوريات في اوربا. ولم تحرز انكلترا المقام الرفيع في عالم الاداب والمدنية الاَّ بتخلصها العاجل من يد السلطة الدينية. وبعكس ذلك الدولة الاسبانية فقد امست في ادنى دركات الانحطاط بعد ما كانت سيدة الممالك وربة البحار. وقس على ذلك امبراطورية الصين وممالك الهند الوثنية. وقد توفرت في ايامنا الدلائل الحسية على اضرار الخرافات المتلبسة بالدين في احوال الامم وفي ذلك عبرة لاولي الالباب

باحث مصري

تاريخ الجزار

لم يكتب احد عن مصر والشام والعراق الاَّ قال انها مهد العمران نشأت فيها الدول القديمة وقويت واستعزَّت وكان لاهاليها المقام الاسنى في كل مفخرة ثم اختى عليها الدهر وانتابتها نوائب الايام فغادرتها على ما وجدناها عليه في اواسط القرن الماضي ليس فيها الاَّ آثار عظمتها السالفة من الانقاض والخرائب

وقد يقف الباحث الشرقي مدهوشاً من ارتقاء الاوربيين وهو يعلم انهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً لما كان العمران ضارباً اطنابهُ في بلادهِ ويحسب ان جبلَّة الناس تغيَّرت والاَّ لوجب ان يبقى السابقون سابقين في مضمار العمران لان ناموس الارتقاء يقضي بذلك ولكنهُ اذا علم ما حلَّ بالشرق منذ خمسة عشر قرناً الى الآن ولاسيما في القرن الاخير والذي قبلهُ انجلت لهُ اسباب هذا الانحطاط وعجب من مرونة الطبع البشري حتى يحتمل ما احتمل من الضغط ومن شدَّة تمسك الناس بأهداب الحياة حتى لم ينقرضوا مع ما نزل بهم من النوازل

وصفنا في العام الماضي بعض ما حلَّ بسكان القطر المصري في آخر عهد المماليك ونحن واصفون الآن بعض ما حلَّ بسكان القطر السوري في نحو ذلك الوقت على يد والي من ولاته اسمهُ احمد باشا الجزار اثباتاً لما قدَّمنا من ان عوامل التخريب بقيت تفعل في القطرين الى عهد قريب ولذلك لا نعجب اذا رأينا الاوربيين سبقونا بمراحل لاننا بقينا حتى الامس في مرض عضال نتراوح بين الحياة والموت

احمد باشا الجزار ترجمهُ الجبرتي في تاريخهِ ولقبهُ «بالجناب المكرَّم والمشير المفخم الوزير